حركة الإصلاح والدعوة وأبعادها في الهند

(١)

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

تعريب: محمد وثيق الندوي

كلُّ من له اطلاع على تاريخ حركة الإصلاح والدعوة الإسلامية وتطوراتها في الهند في القرنين الماضيين، يعرف أن الحركة الإصلاحية الدعوية التي بدأها الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، قد تطورت إلى عمل الكفاح والجهاد بعد مرورها من مراحل الدعوة والإصلاح والتربية والتزكية والتعليم، وقد تركت هذه الحركة آثاراً خالدة على مجرى التاريخ، كان من نتيجتها أن قام خلفاؤه والمسترشدون به بجهود عظيمة وأدوار تاريخية في مجال بناء السيرة الإسلامية المثالية وإصلاح العقائد، والرد على مظاهر الشرك، ومكافحة الطقوس والتقاليد الجاهلية، وفي مجال التعليم والتربية في شبه القارة الهندية، لا تزال تلمس آثارها في جهات العمل الإسلامي المتعددة، ولما أقام خلفاء الإمام أحمد بن عرفان الشهيد و المتصلون به إتصال بيعة واسترشاد، سداً منيعاً في وجه الإنجليز الغاشمين، وصف الإنجليز هذه الحركة الدعوية الإصلاحية بـ"الوهابية" بهدف إحباط جهود الحركة، و روجوا أنها منبثقة من حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي، وكان قد شاع في الهند أن حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي قد هدمت معالم وآثار تاريخية قديمة كانت قد تحولت إلى أماكن التقديس والتعظيم بغلبة عاطفة الحب والفداء للرسول صلى الله عليه وسلم، و كانت قد قامت بهذا العمل العظيم بعنوان " تصحيح عقيدة التوحيد والإصلاح، والرد على مظاهر الشرك، فاعتبر عامة المسلمين في الهند هذه الخطوات التي قامت بها حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي إساءة إلى الأماكن المقدسة القديمة، وأبدوا سخطهم وامتعاضهم، وحاول الإنجليز من خلال وصف هاتين الحركتين حركة واحدة، لتضليل الأذهان، وإفساد الرأي العام، وإحداث الكراهية في النفوس ضد الحركتين الدعويتين، بينما لم يكن بين زعماء الحركتين اتصال مباشر ولم يكن أحد منهم يدعى أن كليهما حركة واحدة.

أما الإمام أحمد بن عرفان الشهيد فإن حركته استمدت لحمتها وروحها ومنهجها من حركة الإمام أحمد السرهندي (٩٧١هـ - ١٠٣٤هـ) الذي قام بالرد على مظاهر الشرك، ومكافحة المعتقدات الباطلة، والأوهام والخرافات والتقاليد الجاهلية والطقوس الهندوكية من تقديس مظاهر الشرك، والاستعانة بغير الله، وتقليد أعياد الكفار ومحاكاة تقاليدهم وعاداتهم الشركية، وتقديس الأولياء والمشايخ، وترجيح ولاية الأولياء على ولاية الأنبياء وغيرها، وإن تشديد النكير على هذه الأعمال الشركية والعادات الجاهلية ومقتها يتجلى بصورة واضحة في رسائله، فإن الرد على البدع والخرافات، وإصلاح العقائد الفاسدة، ونشر العقيدة السليمة النقية الصافية، هو عمله التجديدي العظيم.

يقول العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي:

"كان هذا هو العمل التجديدي العظيم لإصلاح العقائد الفاسدة والرد على الشرك والبدعة، والدعوة إلى الدين الخالص، الذي بدأه الإمام السرهندي على أرض الهند – التي كانت الأقلية المسلمة فيها تواجه خطر الجاهلية المشركة بصفة دائمة، لإحاطة الأكثرية المشركة بها، وقرب عهد البلاد بالإسلام – ووسعه وأكمله فيما بعد مشايخ سلسلته الكبار مثل حكيم الإسلام ولي الله الدهلوي وأفراد أسرته إلى الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وكان ذلك من طريق الخطابة والكتابة والجولات الدعوية الواسعة والحركة الجهادية العظيمة". [رجال الفكر والدعوة في الإسلام للشيخ الندوي: ٣/٢٤١].

وليس بخاف على كل من له إلمامٌ بتاريخ حركة الإصلاح والدعوة في شبه القارة الهندية أن الشاه علم الله الحسني الرائي بريلوي وهو الجد الرابع من أجداد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، كان ذا حساسية زائدة في هذا المجال حتى لا يحتمل مقابلة أي مرتكب للبدع والخرافات

والشعائر غير الإسلامية، فضلاً عن التكلم معه، بل يقطع طرفه عنه، وإن الدرجة الرفيعة التي نالها الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في السلوك والإحسان والمعرفة والتوحيد الخالص والتفويض كانت نتيجتها أنه كان يركز تركيزا بالغا في جولاته الدعوية وحركته الجهادية على تصحيح العقيدة، وإصلاح العقائد الفاسدة، وإزالة البدع، ويشنع على المعتقدات الشركية والتقاليد الجاهلية والطقوس الهندوكية، و يؤكد على التمسك بالسنة السنية، ومكافحة المنكرات، والرد على مظاهر الشرك، وتفصيلُ كل ذلك مسجَّلٌ في الكتب المؤلفة حول حياته وحركته الجهادية والإصلاحية وكتابه "الصراط المستقيم" خير مثال لذلك، وقد لوحظت طبيعتُه هذه بصورة واضحة خلال إقامته بالحجاز المقدس أيضاً، ونقل هذا الكتاب إلى العربية أحد المسترشدين به الشيخ عبد الحي البدهانوي وقدمه إلى العلماء العرب، فتلقوه بتقدير وإعجاب بالغين، وأما إصلاح الرسوم والطقوس الشركية والبدع ومكافحة التقاليد الجاهلية، والدعوة إلى التوحيد الخالص فيوجد تشابه وتوافق بين الحركتين في هذا المجال إلى حدّ ما، ولكن لم يحصل بينهما اللقاء والاتصال المباشر، لأن عهد أحدهما يختلف عن الآخر، فقد ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي عام ١١١٥هـ وتوفي عام ١٢٠٦هـ، بينما ولد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد عام ١٢٠١هـ وتوفي ١٢٤٦هـ، ولكن عهد الإمام ولي الله الدهلوي والشيخ محمد بن عبد الوهاب واحد، ولكن لا نجد ما يدل على معرفة الإمام الدهلوي به وتعرُّفه عليه فضلاً عن مقابلته ولقائه، وقد سافر الإمام الدهلوي إلى الحجاز المقدس للحج عام ١١٤٣هـ وكان في الثلاثين من عمره، ومكث في الحجاز أكثر من سنة، للحج والزيارة والاستفادة من مشايخه وعلمائه في الحديث النبوي الشريف وهذه هي الفترة التي كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقوم فيها بعمله الدعوي التجديدي، ولكن حركته كانت محدودة في منطقة نجد، وأما الدعوة إلى التوحيد الخالص فبينهما تشابه وتوافق.

ومما ساعد في انتشار حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتوسُّع نطاقها ونجاحها، كسبُ تأييد وحماية الملك السعودي حينذاك، فنالت حركته القبول والانتشار الواسع بمساندة الحكومة وتأييدها، وكتب لها التأثير والنفوذ حينما تولى آل سعود مقاليد الحكم في المملكة العربية، ولكن لم تلاحظ آثار هذه الحركة الإصلاحية في أرض الحجاز حينما وصل إليها الإمام الدهلوي ومكث بها، كما لوحظت بعده في الحجاز ونجد والمناطق المجاورة، وقد بحث الأستاذ مسعود عالم الندوي (م ١٩٥٤م) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته وأبعادها وألف كتاب " الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح المفترى عليه" وفنّد المزاعم ودحض المفاهيم المغلوطة والمفتريات على حياته وأعماله الإصلاحية العظيمة، ونال هذا الكتاب قبولاً عاماً في الأوساط العلمية والدعوية.

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب معاصراً للإمام الدهلوي، وكان بينهما تشابه وتوافق في الدعوة إلى التوحيد الخالص، والرد على المعتقدات الباطلة و دحض الأوهام والخرافات والتقاليد الجاهلية و القضاء على الشعائر غير الإسلامية، والحفاظ على السنة النبوية المشرفة، فنالت حركتاهما قبولاً واسعاً، وأثرتا تأثيرا كبيرا وعميقا في منطقتهما، وقد عرَّف العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى في كتابه "رجال الفكر والدعوة في الإسلام" (الجزء الرابع الخاص بحياة الإمام الدهلوي) بشخصية الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته الإصلاحية وجهوده التجديدية ومنهجه في الدعوة، فيقول:

" لقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي الحنبلي (١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ - ١٧٠٣م - ١٧٩٢م) أحد المعاصرين الكبار للإمام الدهلوي والمصلحين العظام، ومن علماء نجد الممتازين وأصحاب الدعوة والعزيمة فيها، فهو بالنظر إلى سنة ولادته يقارب الإمام الدهلوي في سنه، ولكنه بالنظر إلى سنة وفاته متأخر عنه بثلاثين سنة، ورغم هذه المعاصرة وكثير من الأمور المشتركة بينهما لم نعثر على معرفة الإمام الدهلوي به وتعرفه عليه، فضلاً عن مقابلته ولقائه، وقد كان الإمام الدهلوي سافر للحج عام ١١٤٣هـ ومكث في الحجاز أكثر من عام واحد؛ وهذه هي الفترة التي كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته فيها منحصرتين محدودتين في منطقة عيينة والدرعية من نجد، ولم يكن قد بايعه الأمير محمد بن سعود - حينذاك - ولا وقعت بينهما اتفاقية على القيام بنشر هذه

الدعوة وإقامة الحكومة على أساسها ومساندتها وتأييدها، بل كانت هذه الاتفاقية عام ١١٥٨هـ التي أصبحت الدرعية نتيجة لها مركزاً لهذه الدعوة وعاصمة دينية لحكومتها، وقد عرفت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الحجاز وكتب لها التأثير والنفوذ حين استولى آل سعود على مكة المكرمة عام ١٢١٨هـ بعد وفاة الشيخ باثنتي عشرة سنة، وبعد وفاة الإمام الدهلوي باثنتين وأربعين سنة.

وقد كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجهاده وجهوده العظيمة تدور حول الدعوة إلى التوحيد الخالص، والرد على مظاهر الشرك، واستئصال التقاليد والطقوس الجاهلية (التي كان لبعض مظاهرها وشعائرها الظهور والانتشار – لبعد العهد عن زمان النبوة، والجهل العام، وغفلة العلماء في بعض القبائل والأماكن من المنطقة الشرقية في الجزيرة العربية – وتدور حول توضيح الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وشرح حقيقة التوحيد الذي طلبه الله تعالى من عباده، ودعا القرآن الكريم إليه دعوة صريحة واضحة، وتنقيحها، وما حصل للشيخ في هذا الصدد من النجاح لا يوجد له نظير في الدعاة والمصلحين في العهود الماضية، وإن كان – حسب ما يقول الدكتور أحمد أمين – يرجع ذلك – إلى حد كبير – إلى قيام حكومة (وهي الحكومة السعودية) على أساسها وتبنيها لهذه الدعوة، وتشجيعها لها وإشرافها عليها، ولكن مما لا يقبل الجدل والاختلاف أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قام – في هذا الصدد – بدور مصلح ثوري عظيم، ومهما خالفه بعض الناس في بعض أفكاره وآرائه وأسلوبه في عرض الدعوة ومنهجه، ولم يوافقه مئة في مئة إلا أنه لا يمكن إنكار تأثير هذه الدعوة وفائدتها والحاجة إليها في تلك الظروف الخاصة.

وأما ما يتعلق بتوضيح عقيدة التوحيد وتنقيحها، وإثباتها بالقرآن الكريم، وشرح الفوارق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فإن هناك شبها كبيراً بين آراء الشيخ وتحقيقاته وبحوثه، وآراء الإمام الدهلوي وتحقيقاته وبحوثه، وليس هذا إلا نتيجة الدراسة العميقة المباشرة للقرآن الكريم وتدبره، والمعرفة الدقيقة الواسعة بالكتاب والسنة، وهي التي أدت بشيخ الإسلام ابن تيمية في عصره، وكبار الدعاة والمصلحين والعلماء والمحققين في عصورهم إلى نتائج مشابهة متقاربة، ودفعتهم إلى تبليغ التوحيد الخالص والدعوة الجريئة الواضحة إليه.

ولكن دائرة أعمال الإمام الدهلوي الإصلاحية والتجديدية أوسع وأشمل من ذلك بكثير، فإنها تضم بين جوانبها إحياء العلوم الإسلامية وتجديد الفكر الإسلامي، والكشف عن أسرار الشريعة ومقاصدها، والمأثرة العلمية لعرض التعاليم الدينية والشريعة الإسلامية في صورة متناسقة شاملة، ومقاومة الجمود والتحجر العلمي والعصبية الشديدة للمذاهب الفقهية، والعمل الاجتهادي للتطبيق بين العقل والنقل، والتوفيق بين المذاهب الفقهية الأربعة، والمحاولات الجادة للحفاظ على السلطة الإسلامية في الهند، والدراسة العميقة للأحاديث النبوية الشريفة والجهود التجديدية لنشرها وتعميمها، والدعوة إليها، والدعوة إلى تزكية النفوس وإصلاح القلوب، والوصول إلى درجة الإحسان وتعليم طرقها ومناهجها، وتربية الرجال الأكفاء، ومع كل ذلك يتميز الإمام الدهلوي برقة وحنان، وقوة عاطفة كانت – على حد تعبير محمد إقبال الشعري – كوجود ماء زمزم الرقيق الفياض في أرض الحجاز الصلبة الحجرية، وبذلك يجمع بين صلابة عقيدة التوحيد وحنان القلب، وهو أثر من آثار بيئة الإمام الدهلوي وتربيته الروحية الخاصة، ويمكن أن نشاهد أمثلته في قصائده ومدائحه النبوية على ممدوحها الصلاة والسلام.

ولذلك فإنه من المناسب أن تكون هناك دراسات مقارنة بين الإمام الدهلوي وبين شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، والبحث عن نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما بدلاً من الدراسة المقارنة بين الإمام الدهلوي والشيخ محمد بن عبد الوهاب – رغم جهوده العظيمة المشكورة – وتتبع نقاط التشابه والاتفاق بينهما، لأنهما – أي المتقدمي الذكر – يبدو بينهما الشيء الكثير من وجوه التشابه في تبحرهما العلمي وبلوغهما درجة الإمامة والاجتهاد في علوم الكتاب والسنة، وسعة النظر وعمق التفكير وتنوع الأعمال الإصلاحية والتجديدية، وعظمة الشخصية وعبقريتها – وقد تقدمت إليها إشارات في مواضع متفرقة من الكتاب – رغم الاختلاف الطبيعي الذي هو نتيجة البيئة والتعليم والتربية، واختلاف العهد والمكان، والسلوك والتربية الروحية الباطنية" (رجال الفكر والدعوة في الإسلام:٤/٣٣٢، دار الرشيد لكناؤ، الهند، ٢٠١٤م).

حركة الإصلاح والدعوة و آثارها

في شبه القارة الهندية والجزيرة العربية في القرنين الماضيين

(٢)

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي تعريب: محمد وثيق الندوي

العمل التجديدي للشيخ محمد بن عبد الوهاب

و لما ظهر في عهد الشيخين الجليلين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ ولي الله الدهلوي أن عقيدة التوحيد الخالص قد فسدت إلى حدّ يلفت النظر، ودخلت فيها أعمال شركية لغيابٍ جهود الإصلاح والدعوة وتسرّب أمور محدثة إلى حبِّ النبي صلى الله عليه وسلم في شبه القارة الهندية والبلاد العربية كلتيهما، تشوهت بها عقيدة التوحيد الصحيحة، شعر المصلحون المعاصرون بمسيس الحاجة إلى نشر تعاليم الكتاب والسنة، والعقائد الصحيحة، والتوحيد الخالص، والرد على الإشراك والبدعة، وإصلاح التقاليد والعادات، وتزكية النفوس وتهذيب الأخلاق، كان في مقدمتهم الإمام ولى الله الدهلوي والشيخ محمد بن عبد الوهاب اللذان قاما بعمل تجديدي ثوري في بيئتهما في هذا المجال، ولكن الذين لم يدركوا كنه حركتهما الإصلاحية وجهودهما الدعوية، استقبحوا عملهما التجديدي، واعتبروه مخالفا لحب النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان هذا العمل التجديدي الإصلاحي ضروريا، بل كان عملاً تجديدياً وخدمة عظيمة لنصرة العقيدة الإسلامية الصحيحة، وإن الوسائل التي اختيرت للقيام بهذه المهمة الإصلاحية أثارت الشكوك لدى الذين اعتبروها غير ملائمة للوضع والمقتضى، ولكن الدراسة الدقيقة الأمينة لأعمال للمصلحين العظيمين توضح هذه المهمة الإصلاحية بصورة كاشفة لا تدع للشك مجالا، وتبعث على التقدير والإشادة بنتائج عملهما التجديدي في مجال تصحيح العقائد الفاسدة، وإصلاح الطقوس والتقاليد، وتطهير المجتمع المسلم منها، وإن الجهود والأعمال العظيمة التي قام بها أفراد أسرة الإمام الدهلوي وخاصة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد خليفة الشيخ عبد العزيز الدهلوي ابن الإمام الدهلوي في مجال إصلاح العقائد الباطلة ونشر التوحيد الخالص، تحمل نفس التأثير الذي تحمله أعمال هذين الإمامين المجددين.

الصلة بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب و آل سعود:

وإن الصلة الدينية الوطيدة التي قامت بين الحكومة السعودية وأسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد تبنى الملك السعودي ابن سعود حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تستمر إلى يومنا هذا، ويراها ويطلع عليها الذين يزورون المملكة العربية السعودية بلقائهم مع علماء ومشايخ هذه الأسرة، ويرون ما يتمتعون به من نفوذ وسيادة دينية، وعلاقاتهم الطيبة مع زعماء الحركات والجماعات الدينية والعلماء والإسلاميين.

الصلة بين آل الشيخ وأسرة الإمام أحمد بن عرفان

ونجد تصديقاً لذلك مما قام به سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي من الاتصال بأعضاء أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والكتابة عما وجده فيهم من الصفات الدينية والأعمال الدعوية، وذلك خلال زياراته للحجاز المقدسة، وقد أقام فيها إقامة طويلة مرتين للغرض الدعوى، ورافقه في الرحلة الأولى التي كانت عام ١٩٤٧م، شقيقي الأكبر الشيخ محمد الثاني الحسني (م١٩٨٢م) وفي الرحلة الثانية التي كانت عام ٥٠- ١٩٥١م، تشرفت بصحبته، فشاهدنا عن كثب صلة أسرة آل الشيخ بالشيخ أبي الحسن الندوي كأنها صلة أصحاب فكرة واحدة ودعوة واحدة، و وجدنا الشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ وهو من أعقاب الشيخ محمد بن عبد

الوهاب، رجلاً مخلصاً ومتحمساً للعمل الدعوي، وكان معتدلاً، ويحترم العلماء والدعاة، ويبدي تقديره لجهودهم، وكان رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمنطقة الحرمين الشريفين وكان رجال الحكومة يحترمونه احتراما، ويقيمون له وزنا، يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي:

الشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ

" وقد كان من ثمار الإقامة بمكة المكرمة التعرف على الشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ، وحبه وثقته في التي كانت لها فائدتها الكبيرة في حق العمل الدعوي وجماعة الدعوة والتبليغ، فقد كان هو من أعقاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، والأخ الشقيق لقاضي القضاة وشيخ الإسلام بالمملكة السعودية الشيخ عبد الله بن الحسن – الذي كان أكبر شخصية دينية في السعودية، ورئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرياض، وكان مستشاراً لولي العهد الأمير سعود وموضع ثقة عنده، وقد عطفه الله تعالى إلى حبي، وصلة خاصة بي، فكان يقرأ كتبي ورسائلي، ويقرأها لمن يستمع إليها، وقضت هذه الصلة والثقة على تلك الأقاويل والإشاعات التي كان يثيرها بعض الناس لأسباب مختلفة لإثارة الشكوك والشبهات حول الجماعة، وإساءة الظن بها، وقد كان الشيخ عمر في هذا الأمر على ثقة ويقين إلى حد أنه دافع بنفسه عن الجماعة، وأيدها وحماها من التعرض للمشاكل، ولو لم يكن في ظاهر الأسباب هذا الموقف من الشيخ عمر، لفاتت الجماعة فرصة العمل هنا بحرية وانطلاق.

ولم يزل الشيخ عمر على هذه الصلة الوثيقة التي تحولت إلى صلة أخوية وصلة عطف وشفقة، يمكن أن يقدر ذلك بتلك الرسائل الودية التي بعث بها إلي، ولله جنود السموات والأرض ".(في مسيرة الحياة:١/ ١٩٩- ٢٠٠، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧م.)

موقف الشيخ أبي الحسن الندوي:

وقد لاحظ سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في إقامته الطويلة في الحجاز أن المملكة العربية السعودية بدأت تتأثر على مر الزمن بالمؤثرات السائدة في العالم وفي المنطقة، فإنها إن تخلت بسبب هذه المؤثرات عن تلك الدعوة والحركة التي قامت بفضلها ولم تعتن بنصائحها وتوجيهاتها، ولم يبق لها وازع قوي من خلق ولا دين، فإنها ستسير على طريق الجباية بدل طريق الهداية والإصلاح والدعوة، وقد أحس الشيخ الندوي بهذا الخطر، وكتب رسالة بليغة باسم "بين الجباية والهداية" ثم سلمها إلى الشيخ عبيد الله البلياوي المقيم في مكة المكرمة الذي بلغها إلى الشيخ عمر بن الحسن، فقد قرأها على سمو الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد، و نبه الشيخ الندوي في هذه الرسالة الموجهة إلى أصحاب الحكم بحكمة وأسلوب موافق للمقتضى إلى أن الحكومة بدأت تسير على طريق الجباية وأن ذلك نذير خطر، ثم بين ما يعلق المسلمون على هذه الدولة من آمال كبيرة، وشرح فضل حكومة الهداية وتأييد الله تعالى ونصره لها، وحب المسلمين وفداءهم لها، شعرت الحكومة بمسئوليتها أم لا؟ وبماذا ظهرت النتيجة؟ هذا موضوع مستقل لا يسع المقام ذكرها، ولكن أسرة آل الشيخ لم تتغافل عن مسئوليتها، وأثر منهج الشيخ الندوي في الدعوة بالحكمة والنصح الحسن على آل الشيخ أثراً حسنا عميقا، فنمت وتعمقت صلتهم به بمر الزمن، وتوسعت نطاق الصلة والود.

صلاته مع أصحاب الفكر والدعوة في المملكة العربية:

ونشأت صلات ودية مع العلماء والأدباء وأصحاب الأقلام العرب وتوطدت الصلة بالإضافة إلى الشيخ عبد الله بن الحسن أخي الشيخ عمر بن الحسن، بالشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ الذي أصبح فيما بعد وزير المعارف، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ خطيب عرفات وإمام الحرم الذي زار ندوة العلماء بدعوة من الشيخ أبي الحسن الندوي، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ الذي كتب عنه الشيخ الندوي أنه تعرف عليه في مصر عام ١٩٥١م، وتعمقت صلته به، وكان مفتي أعظم للمملكة العربية السعودية ورئيس رابطة العالم الإسلامي منذ قيامها، وكان يفضل الشيخ الندوي على جميع العلماء،

فبذلك نشأت الصلة الودية القوية التي لم تكن نشأت بين مؤسسي هاتين الحركتين العظيمتين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام أحمد بن عرفان الشهيد، بين زعماء الحركتين في هذا العصر، وكانت هذه الصلة صلة حب وتقدير وسببها التوافق والتشابه والوحدة في الهدف.

الملك عبد العزيز آل سعود وحمايته لحركة الدعوة والإصلاح:

وكان مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز آل سعود قد تولى مسئولية نشر دعوة وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي دعا إلى التوحيد الخالص والتمسك بالسنة المشرفة، فوفر لها الحماية الحكومية ووسائل الدعوة، ثم أوصى أولاده وخلفاءه بحماية هذه الدعوة والحركة والعمل بتوجيهات أصحابها، وقرر كتاب الله القرآن الكريم دستور الدولة، ونفذ هذا الدستور القرآني بمشورة العلماء وآرائهم، واتخذ تدابير ووسائل مؤثرة لتكون عقيدة التوحيد سارية المفعول عملياً.

موقف العلماء ومنهجهم في النصح والتوجيه:

وقد مضى على قيام هذه المملكة العربية السعودية نحو قرن مروراً من أولاد الملك ابن سعود وانتهاءً إلى أحفاده، ولكن خلفاءه وأعقابه لم يغيروا فيما رسمه لهم جدهم الأعلى، ونظراً إلى ذلك كلما رأى العلماء في المملكة والبلدان الأخرى في العالم أن الحكومة السعودية تبتعد عن تأكيد العقيدة الإسلامية والمنهج الإسلامي السليم لفتوا أنظار الحكام والأمراء إلى ذلك، و ركزوا عنايتهم إلى إصلاح هذا الجانب، وسد الثغرة، فقد قام العلماء والدعاة بلفت أنظار الحكام ونصحهم كلما اقتضى الوضع التذكير والتوجيه نظراً إلى وقوع تهاون أو تقصير في منهج الحكومة الإسلامي بتأثير القوى الغربية، وذلك بنقد بناء أو دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

منهج الشيخ أبي الحسن الندوي في الدعوة والتوجيه :

وممن قاموا بلفت الأنظار إلى الأخطاء ومواضع الضعف وبنصح الحكام بأسلوب دعوي حكيم، العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى، فقد اختار الشيخ الندوي أسلوبا دعويا حكيما في إسداء النصح ولفت الأنظار، كان يذكر أعمال الملك ومنجزاته اللائقة بالتقدير ويبدي تقديره لها ويثني عليها، ثم يلفت النظر إلى مواضع الضعف والتقصير التي تحتاج إلى الإصلاح والتوجيه، وقد التقى بأكثر من أتوا بعد الملك المؤسس عبد العزيز من الحكام وتحدث إليهم ونصحهم، وقد بدأ لقاؤه معهم من عهد الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن حيث وجه إليه رسالة توجيهية بعنوان "بين الجباية والهداية" وبلغها إليه أحد كبار العلماء في المملكة العربية الشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ وقرأها عليه، ثم استمرت هذه اللقاءات والمحادثات طيلة حياته.

رئيس وزراء البحرين: السعودية تمثل السند القوي للدول العربية والإسلامية

أكد رئيس وزراء مملكة البحرين الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة، اليوم الأحد؛ أن المملكة العربية السعودية بقيادتها الحكيمة تمثل السند القوي لكل الدول والشعوب العربية والإسلامية، وأن مبادراتها في نصرة الحق والعدل والدفاع عن الدين تلقى احترام وتقدير الجميع.

جاء ذلك في كلمة له خلال حفل تدشين إطلاق اسم وزير الخارجية السعودي السابق الأمير الراحل سعود الفيصل على أحد شوارع مملكة البحرين بمنطقة "الجفير".

وقال رئيس الوزراء البحريني: إن وقفات السعودية الداعمة لأمن واستقرار مملكة البحرين محل تقدير جميع أبناء البحرين، معربا عن تقديره بما تقوم به السعودية من جهود للذود عن كرامة الأمة وسلامة أراضيها وسيادتها.

وذكر أن الأمير سعود الفيصل كان نموذجا متميزا للعطاء الوطني، واستحق أن ينال محبة واحترام الجميع، مضيفا أن شعب البحرين لن ينسى مواقفه الداعمة والمساندة لمملكة البحرين، ودفاعه عن أمنها واستقرارها في جميع المحافل الإقليمية والدولية.

وأضاف أن قيام البحرين بإطلاق اسم الراحل الأمير سعود الفيصل على أحد أهم شوارع العاصمة المنامة هو رسالة وفاء وامتنان للأمير الراحل على كل ما قدمه من أجل البحرين، وما اتسم به من شجاعة في الوقوف إلى جانبها في مختلف الظروف.

ومن جهته، قال وزير الخارجية البحريني الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة: إن الأمير الراحل له مواقف تاريخية داعمة لمملكة البحرين وتطورها وأمنها واستقرارها.

حركة الإصلاح والدعوة وآثارها

في شبه القارة الهندية والجزيرة العربية في القرنين الماضيين

(٣)

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب: محمد وثيق الندوي

ترحيب ودعوة وتاريخ:

زار ندوة العلماء عمُّ الملك سمو الأمير مساعدِ بن عبد الرحمن آل سعود نيابة عن عاهل الجزيرة العربية الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، عندما زار الملك بلاد الهند، وشرف دار العلوم لندوة العلماء بزيارته مع معالي الشيخ عبد الرحمن البسام سفير الدولة السعودية في باكستان في اليوم الرابع من ديسمبر ١٩٥٥م، وعقدت ندوة العلماء لسموه حفلة تكريم حضرها عدد كبير من رجال الثقافة وأعيان البلد وممثلي الحكومة، وألقى الشيخ أبو الحسن علي الحسني رحمه الله تعالى كلمة تحية وترحيب بالضيف الجليل – وهو معروف في الدولة السعودية بثقافته الواسعة وعقله الكبير – باسم أعضاء الندوة وأعيان البلد، والكلمة مثال جميل للدعوة البليغة، والأسلوب الحكيم والأدب الرفيع، ولذلك نقدمها إلى القراء لتعم الفائدة، فقال في كلمته القيمة:.

ذكرى دعاة الإسلام ومنتهم على هذه البلاد.

"إنها فرصة سعيدة مباركة نحيي فيها ضيوفاً كراماً تربطنا بهم الروابط القوية الروحية، وحدة العقيدة والدين والإيمان، وحدة تتضاءل أمامها وحدة الجنس واللون والوطن، وآصرة تضمحل أمامها آصرة الرحم والدم، نحيي فيها سادة ينتمون في النسب واللغة والوطن إلى أولئك الدعاة المخلصين المحسنين الذين أسبغوا على هذه الديار نعمة الإسلام، ووصلوها برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وأخرجوا من أدركته السعادة من أهل هذه البلاد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، نعمة لا نقوم بشكرها، ولا نفي بحقها فلو لا آباؤكم الكرام ولولا دعاة الإسلام لبقينا في جاهلية وشقاء، وهنا القلم يتعثر، واللسان يحتبس، والرأس ينتكس حياءً، فمعذرة عن الشرح.

حاجة الإنسانية إلى الإيمان والروح والغايات الصالحة:

نحيي فيكم – رجالاً اختارهم الله لحراسة مهد الإسلام، ذلك البلد الأمين الذي طلع منه الصبح الصادق للعالم فأشرق النهار، وعاشت الإنسانية، وطابت الحياة، ولا مطمع في سعادة الإنسانية ونهوضها إلا إذا أنجدت هذه الجزيرة الإنسانية مرة أخرى، فعادت عليها بما أفلست فيه هذه المدنية إفلاساً شائناً، إيمان متين، وعاطفة قوية، وروح ملتهبة سامية، واستهانة بزخارف الدنيا، وإيثار للآخرة، وعطف على الإنسانية كلها، وغايات صالحة تضع الوسائل مواضعها وتعود على الإنسانية بالهناء والسعادة، وشريعة إلهية قد تكملت، وقد تحقق أخيراً أن الحياة من غير إيمان والعقل من غير عاطفة، والجسم من غير روح، والتملك للدنيا من غير إيثار للآخرة، والقوة والوسائل من غير غايات رشيدة والحكومة من غير شريعة إلهية شؤم على الإنسانية و رزئية عالمية، وتلك قصة أوربا الحديثة – أيها الزائر الكريم! – ومن مشى على أثرها.

كيف يغيث العرب المدنية:

هذه الثروة التي أفلس فيها العالم الحديث وملكتم مفاتحها، هي ثروة الإسلام التي تعتزون بها، وتوسعون بها الأمم – إذا شئتم – براً ورفداً، وإن العصر الحديث هو أحوج إلى هذه الثروة المعنوية من كل ثروة جادت بها الأرض وسخت بها يد الطبيعة في بلادكم، فلتهنئكم هذه الحراسة الكريمة للجزيرة العربية، ولتهنئكم هذه الثروة العظيمة التي تملكونها ولتهنئكم هذه الفرص السانحة لإغاثة الإنسانية وإنجادها.

رجال الإصلاح في الهند وأعمالهم:

إننا من أسرة علمية ترى السعادة والعصمة كلها في فهم تلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم للدين "أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أبر الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً" إننا نرى السعادة كلها في عقيدتهم وفكرتهم وحياتهم، إننا من أسرة قديمة تثور على كل دخيل على هذا الدين وعلى الطوارئ التي طرأت على العقيدة الإسلامية النقية بتأثير العجم والفلسفات الدينية العتيقة، وتتمرد على الأوضاع والبدع التي تسربت إلى هذا الدين الخالص عن طريق العجم من عقائد وأفكار وعوائد، وكان منا أئمة مرشدون ودعاة مخلصون، نفوا عن هذا الدين في كل زمان "تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين" كان منهم الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي (م١٠٢٤هـ) صاحب الرسائل الخالدة النافعة، وشيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (م١١٧٦هـ) صاحب حجة الله البالغة، والسيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ) والعلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الشهيد (١٢٤٦هـ) صاحب "تقوية الإيمان" وقد قاموا في هذه البلاد بدور رائع في الإصلاح والتجديد الديني والبعث الإسلامي وإن كتاب "الصراط المستقيم" للسيد الإمام أحمد بن عرفان "وتقوية الإيمان" للشيخ إسماعيل ثورة قوية على الشرك والبدع، ودعوة جريئة إلى الإسلام الصحيح والدين الخالص.

ندوة العلماء وأهدافها:

على هذه العقيدة السليمة قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد في فجر هذا القرن الهجري، تتكر على عامة المسلمين زيغ العقيدة وفساد الأخلاق وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد في غير عدو، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم واستنفدت قوتهم، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جدته وحياته ونسي رسالته، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة هذا العصر وأسلوبه، حتى تتحقق الغاية المنشودة من التعلم والتفقه وهو الإنذار "لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ" [التوبة:١٢٢].

دار العلوم وشعارها:

وأخيراً أدركت أن هذا الغرض لا يتم إلا إذا أسست مدرسة مثالية، فأسست "دار العلوم" في لكهنؤ عاصمة الولاية الشمالية سنة ١٣٢٦هـ ووضعت أساسها على مبدأ الجمع بين الدين الخالد الذي لا يتغير وبين العلم النامي الذي لا يتحجر، بين صلابة الحديد في الثبات على العقيدة، وبين نعومة الحرير في اقتباس العلوم النافعة، فبينما العالم الديني في عقيدته وعبادته جبل ثابت، إذا هو في علمه ودراسته وتقدمه فهر عذب جار، وبينما هو في نصوص الدين وعزائمه مرابط على الثغر وحارس للأمانة، إذا هو في تفهيمه ودعوته جندي مهاجم ومسلح على أحدث طراز، وبينما هو في الأول لا يعرف الهوادة إذا هو في الثاني لا يعرف الجمود.

محافظة على الغايات وتوسع في الآلات:

وقد امتازت هذه الدار العلمية من أول يومها بالمحافظة على الغايات والتوسع في الآلات، فعنيت بدراسة القرآن متناً وتفسيراً، وإجمالاً وتفصيلاً، والحديث خلقاً وتربية، وفقهاً وتزكية، وحذفت الفلسفة اليونانية التي طغت أخيراً على المناهج الدراسية في الهند وإيران، واغتصبت مقداراً عظيماً من الذكاء والقوة والعناية من غير جدوى ومن غير موجب.

معقل العربية في الهند:

وعنيت بدراسة اللغة العربية كلغة حية ثرية من أغنى لغات العالم وأكثرها حيوية وقوة حتى فاقت في ذلك، معاهد الهند ومدارسها باقتدار من نبغ من أبنائها على هذه اللغة كتابة وخطابة وتأليفاً وتصنيفاً حتى شهد لهم أدباء العرب بالإجادة والإبداع وأتحفوا المكتبة العربية الفنية بآثار تذكر وتشكر.

هذه هي الدار الوحيدة التي تعيش فيها العربية إذا ماتت في كثير من البقاع وتنطق فيها إذا خرست في كثير من الأصقاع، وعنيت كذلك بدراسة بعض العلوم العصرية واللغات الأجنبية التي لا غنى عنها للعالم والداعية.